

التعليقات الزهية على منظومة القواعد الفقهية

نظر الشيخ العلامة

عبد الحكيم بن نصر السجدي

رحمه الله تعالى

لشيخنا الفاضل العلامة

أحمد بن محمد بن مؤمن

- حفظه الله -



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ
لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَلَا وَإِنَّ
أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ،
وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فمرحبًا بكم أيها الإخوة والأخوات في لقاءٍ مُتجددٍ مع دراسة
منظومة " **القواعد الفقهية** " للشيخ عبد الرحمن بن ناصر
السعدي - رحمه الله تعالى - .

وقد مر بنا في اللقاء الماضي ما يتعلق بتعريف هذا العلم
وترجمة السعدي - رحمه الله تعالى - والتعريف بهذه
المنظومة ، وفي هذا اللقاء نشرع - بإذن الله تعالى - في تدارس
هذه المنظومة .

قال الناظم - رحمه الله تعالى - :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَرْزَقِي

وَجَامِعِ الْأَشْيَاءِ وَالْمُفَرَّقِي

ابتدأ السعدي - رحمه الله تعالى - بـ " **الْحَمْدُ لِلَّهِ** " ؛ وهذا منه
اقتداءً وتأسياً بكتاب الله - عز وجل - الذي ابتدأ بالفاتحة ﴿
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (1) ، وأيضًا ما جاء عن النبي - صلى
الله عليه وسلم - أنه كان يقول في خطبة الحاجة : (**إِنَّ**

¹ (سورة الفاتحة [الآية : 02] .

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ .. (2) الحديث ، وأما حديث :
(كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأُ فيه بِبِسْمِ اللَّهِ أو بِالْحَمْدِ لِلَّهِ ، فهو
أَبْتَرُ أو أَقْطَعُ أو أَجْذَمُ) فهو حديث ضعيف .

وَالْحَمْدُ : وصف المحمود بالوصف الجميل مع محبته
وتعظيمه ، ولذلك الحمد لا يكون إلا لله ؛ لذلك نحن نقول
الحمد لله فهو - سبحانه وتعالى - مستحق الحمد وهذا في
آيات كثيرة .

ولذلك قال الناظم : **" الْحَمْدُ لِلَّهِ "** ، فقوله : **" لِلَّهِ "** اللام
للاستحقاق .

ثم وصفه بقوله : **" الْعَلِي "** وهذا فيه إثبات صفة العلو لله -
عز وجل - والله موصوفٌ بالعلو التام بعلو الذات وبعلو القدر
وبعلو القهر ؛ فهذه أنواع العلو الثلاثة التي دلت عليها
النصوص الشرعية .

" والأَرْفَقِي " : أي أنه - سبحانه وتعالى - كما وصفه نبينا
الكريم - عليه الصلاة والسلام - : **(إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفْقَ)**
(3) ، فهو - سبحانه وتعالى - كما قال السعدي : **" رَفِيقٌ فِي**
أَفْعَالِهِ " فأفعاله رفق على غاية المصالح والحكمة .

العليّ الأرفق

وجامع الأشياء والمفرق

: أي أنه - سبحانه وتعالى - جمع الأشياء في شيء وفرّقها في
شيء ؛ فالخلق يجتمعون في كونهم خلقه - سبحانه وتعالى -
وأنه رزقهم وفرّق بينهم - أي بين خلقه - في الأشكال والصور
والطول والقصر والسواد والبياض كما قال السعدي - رحمه

(2) الراوي: عبد الله بن مسعود ، المحدث: الألباني ، المصدر: صحيح ابن ماجه ، الجزء أو الصفحة: 1547 .
(3) الراوي: عائشة أم المؤمنين ، المحدث: مسلم ، المصدر: صحيح مسلم ، الجزء أو الصفحة: 2593 .

الله تعالى - ؛ وهذا منه - أي من السعدي - براءة في الاستهلال وذلك كما يقول أهل البلاغة : " أن يُضْمَن المقدمة شيئاً من مقصود الكلام " ؛ لأن القواعد الفقهية تجمع الأشياء المتماثلة وتُفرِّق بين الأشياء المتفرقة .
وقوله - رحمه الله تعالى - :

الحمد لله العليّ الأرفق

الأرفق : هذا من باب الإخبار وليس من باب التسمية فالأسماء توقيفية .

والإخبار : يصحّ بكل معنى صحيح كما قال أهل العلم .
ثم قال الناظم واصفاً لله - عز وجل - :

ذي النعم الواسعة الغزيرة

والحكم الباهرة الكثيرة

وصف السعدي - رحمه الله تعالى - وصف الله - سبحانه وتعالى - بأنه المنعم بالنعم الكثيرة ، وقوله : " واسعة " ؛ أي ضد الضيق من السعة ، ونعم الله كثيرة وأعظم هذه النعم نعمة الإسلام ، ومن أعظم نعمة الدين أن تكون عالمًا بأحكام هذا الدين .

والنعم : كل ما يجلب للإنسان فرحًا أو سرورًا حسًا أو معنى

ثم وصف الله - سبحانه وتعالى - بالحكم الباهرة الكثيرة .

والحكمة : وضع الشيء في موضعه المناسب اللائق به .

فهي حكم عظيمة تبهر العقول وتتعجب منها غاية العجب وكل ما شرعه الله ففيه حكمة وفيه مصلحة العباد وهذا

ينبغي أن يكون يقين المؤمن في جميع الأحكام الشرعية حتى لا يَضيق ذرعًا في أمر الله - عز وجل - بل يعلم ويوقن أن كل ما أمر الله - عز وجل - فيه مصلحة للعباد .

ثم قال الناظم - رحمه الله تعالى - :

ثم الصلاة مع سلام دائم

على الرسول القُرشي الخاتم

الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - : هي ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى .

ثم الصلاة مع سلام دائم

لكن هل يُقال إن الصلاة هي الرحمة من الله ؟

لا تُفسر بالرحمة ، لا تُفسر الصلاة بالرحمة لثلاثة أمور :

أولاً : أن الله تعالى غاير بينهما ؛ أي بين الصلاة والرحمة كما في قوله : **(أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) (4)** .

الثاني : أن سؤال الرحمة مشروع لكل مسلم .

الثالث : أن رحمة الله عامة وسعت كل شيء وأما صلاته فهي خاصة بخواص عبادِه كما أفاده ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - .

وقول الناظم : **" الخاتم "** ؛ أي ختم الله - عز وجل - برسولنا ؛ ختم الأنبياء والرسل فلا نبى بعده - صلى الله عليه وسلم - ولا رسول .

" والقُرشي " : هذا نسب نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو قُرشي وهم بنو النظر بن كنانة .

⁴ (سورة البقرة : [الآية 157] .

ثم قال الناظم :

وآله وصحبه الأبرار

الحائزي مراتب الفخار .

الآل : تأتي بمعنى القرابة وتأتي بمعنى الأتباع والمراد بهم هنا الأتباع " **آله** " ؛ أي أتباعه - صلى الله عليه وسلم - .

" والأصحاب " : جمع صاحب .

والصحابي : هو من لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - مؤمناً به ومات على ذلك .

وفي الجمع بين الصحب والآل مخالفة للمبتدعة لأنهم يوالون آل النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا يوالون صحبه - رضوان الله عليهم - .

وقوله : **" الحائزي "** ؛ أي الحاصلين ؛ أي أن الصحابة - رضوان الله عليهم - حَصَلُوا أعلى مراتب الشرف والفخر من صحبةٍ وعبادةٍ وعلمٍ ونحو ذلك ؛ ولذلك كما مر معنا في شرح **أصول السنة للإمام أحمد** - رحمه الله تعالى - أن من اعتقاد السلف الصالح الترضي على جميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كل من صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - ولو لحظة تثبت ويثبت له شرف الصحبة لا يجوز سبه ولا انتقاصه ولا التعرض له فضلاً عن ذمه أو الحديث عنه بصورة الذم ، فإن هذا مخالف لمنهج ومسلك السلف الصالح - رضوان الله عليهم - .

قال الناظم :

اعلم هُديت أن أفضل المِئَن

علمٌ يزيل الشك عنك والدَّرَن .

أي من أفضل المَنِّ ما يمن الله به عليك ومن أفضل النعم التي يُنعم الله بها على عباده ؛ العلم النافع في الدنيا ، علمٌ نافع وهو الذي يزيل عنك الشك والدرن .

وضابط العلم النافع هو ما أزال عن القلب شيئين :

الأول : الشبهة التي تُورث الشك وذلك باليقين وبالتمسك بالمنهج السلفي الصحيح .

والثاني : الشهوة التي تُورث دَرَن القلب وقسوة القلب وتثبُّط البدن عن الطاعات ويكون بالإيمان التام .

وهذان - أعني الشك والشهوة - سببًا موت القلب وعلاجهما بالعلم النافع .

وقوله : **" والدَّرَنُ "** ؛ أي الوسخ والمراد المعاصي والشهوات . ومعنى البيت هو ما جاء عن أبي العالية - رحمه الله تعالى -

حيث قال : **" ما أدري أي نعمتين أفضل أن هداني الله**

للإسلام أو عافاني من هذه الأهواء " (5) .

ولذلك الناظم - رحمه الله تعالى - أشار لمسألة مهمة :

أن العلم يزيل عنك الشك ويزيل عنك الدَرَن ، أما إذا بقي الشك في قلب طالب العلم وبقي الدَرَن في قلب طالب العلم ؛ فإنه يأتي بالفتن ويأتي بالشر والخلاف ؛ ولذلك من الأمور التي تضر الدعوة السلفية أن يُصدَّر أناس هم في حقيقتهم رجيحٌ ومُخَلَّفَاتٌ للجماعات ، لم تُمَحَّ من قلوبهم هذه الشبهات ، ويُصدِّروا على أنهم سلفيين فيُقطِّعوا السلفيين ويطعنوا في السلفيين وهم المُستَحِقُّون للطعن ؛ لأنهم لم تزل في قلوبهم تلك الشبهات ، أو يُصدَّر للدعوة السلفية رجيحٌ ومُخَلَّفَاتٌ الشهوات الذين تربَّوا على الحقد والحسد والمنافسة

⁵ (حلبة الأولياء وطبقة الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (2/218) .

المذمومة في الدنيا لطلب المناصب ، فيُصدِّرون في الدعوة
السلفية فيُقَطِّعون أوصال الدَّعوة السلفية ، وهذا مما يضر
الدعوة السلفية ؛ ولذلك كان السلف فيما يُذكر عنهم " أن
من أراد أن يطلب العلم تَنَسَّك أولاً "

ما معنى تَنَسَّك ؟

أي تَعَبَّدَ لله فأخرج ما في قلبه من شهوة أو شبهة وأصبح
قلبه نظيفا فأقبل على العلم فأثمر العلم النافع والعمل
الصالح ، أما بعض الناس اليوم يتصدِّرون في مجالس العلم
وقلوبهم لا تخلو من شبهةٍ أو شهوةٍ فأورثوا الفتن والشر على
أمةٍ محمد - صلى الله عليه وسلم - نسأل الله أن يهديهم وأن
يصلح حالهم أو أن يكفَّ الدعوة السلفية والسلفيين من
شرهم وأذاهم وضررهم .

قال الناظم - رحمه الله تعالى -

ويكشف الحق لذي القلوب

ويوصل العبد إلى المطلوب

هذا أيضًا من فوائد العلم النافع أنه يُبيِّن للمرء الحق وإذا تبيَّن
له الحق وجب اتباع الحق لا اتباع الخلق فنحن نطلب العلم
ونتعبَّد الله - عز وجل - طالبين الحق وأما الخلق فالحق لا
يُعلِّق بهم فمنهم من يصيب ومنهم من يخطئ ، ومن هنا أتى
كلام ابن مسعود - رضي الله عنه - : " من كان مستنا مقتديا
فليقتدي بمن قدم مات " (6)

وهم أهل الحق من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -
وأما الحي فلا تؤمن عليه الفتنة ، فالواجب على العبد أن

⁶ (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (1\159) .

يطلب الحق وأن يعمل به ولو خالف الحق محبوبه من الشيوخ أو من معظمي الدنيا لأن الواجب اتباع الحق لا اتباع الخلق ، ولذلك الواجب علينا جميعاً أن نطيع الله ونطيع رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وطاعة الله - سبحانه وتعالى - يُطاع لذاته - سبحانه وتعالى - ، وأما الرسول - صلى الله عليه وسلم - يُطاع فلأن الله أمرنا بطاعته ولأنه مُبَلَّغٌ عن الله - عز وجل - وهو بشر - عليه الصلاة والسلام - كما قال - سبحانه وتعالى - ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (٧) وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٨)

فطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من طاعة الله (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ) (٩)

ولا يُطاع الرسول - صلى الله عليه وسلم - لذاته هذا غلط هذا غلط وهو نوع شرك لا يجوز أن يُقال هذا الكلام كما نبّه على ذلك أهل العلم ، ولذلك الواجب على كل مسلم أن يطيع الله ويطيع رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويطلب الحق المأمور باتباعه

ولذلك قال الناظم - رحمه الله - :

ويوصل العبد إلى المطلوب

ما هو المطلوب ؟

رضا الله - عز وجل - ويوصله إلى جنة الخلد - بإذن الله تعالى - . وقوله : **" لِذِي الْقُلُوبِ "** ؛ أي الحيّة والعقول

(7) سورة الكهف [الآية : 110] .

(8) سورة آل عمران [الآية : 31] .

(9) الراوي : أبو هريرة ، المحدث : الألباني ، المصدر : أصل صفة الصلاة ، الجزء أو الصفحة : 87/1 .

المستقيمة السليمة لا العقول المتحجرة أو المتعصبة ولا
القلوب العمياء التي تبصر الحق ولا تعمل به وتدعو إلى
الباطل وتحارب لأجله - فنسأل الله السلامة والعافية - من
تلك القلوب الميتة ومن تلك العقول المغطاة التي لا تبصر
الحق ؛ هذه فوائد العلم والعلم إذا لم يقدر إلى العمل الصالح
وإلى طاعة الله - سبحانه وتعالى - وطاعة رسوله - صلى الله
عليه وسلم - فإنه يكون وبالأعلى على صاحبه ويكون حجةً عليه
لا له .

يقول الناظم :

لترتقي في العلم خير مرتقى

وتقتفي سبل الذي قد وُفقا

أي أن طالب العلم إذا تَعَلَّمَ هذه القواعد يزداد علمه ويرتقي
؛ أي يعلو وتزداد مرتبته في طلب العلم لأن العلم درجات
والإنسان ما يرتقي في العلم بجهله وتخبطه أو بجاهه ومنزلته
وإنما يرتقي بالتعلم والعمل الصالح والعلم النافع ، ولذلك
بعض الناس اليوم لما قَدَّمُوا للأمة على أنهم من أصحاب
العلم ولا علم عندهم وقعوا في عقبات وفي مطبات في مسائل
علمية لا يجهلها صغار طلاب العلم - نسأل الله السلامة
والعافية - ، وبعض الناس يظن أنه بوجاهته يكون مُقَدِّمًا أو
عالمًا أو ممن له الكلام في مسائل العلم ، وهو لم يطلب العلم
عند العلماء ولو جلس عند العلماء فما طلب العلم إنما يكون
ذاهبًا آتي ويكون مثلًا في خدمة الشيخ هذا ليس علم .
العلم أن يَتَعَلَّمَ ولو كان من أبناء الشيخ فالنسب لا يعطي
علمًا والخدمة لا تعطي علمًا فضلًا أن يكون من أصحابه أو
من أقربائه إنما العلم كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -

وجاء موقوفاً على ابن مسعود : **(إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ) (10)**
ليس بالخدمة أو بالقرابة أو بالوجاهة ، فرعنة بعض الناس
والله تعرفه جاهلاً لم يطلب العلم تربّي في أحضان الإخوان
وكان لا يجلس عند العلماء إنما يأتي ويقف وكذا ثم يذهب ثم
الآن يُصدّر للناس على أنه عالم !! وللأسف يُخدع به من
خُدع .

ولذلك - بارك الله فيكم - معرفة العلم وميزانه وقواعده
ومن هم أهله هذا أمر مهم ؛ ولذلك السعدي انظروا عدة
آيات يُقرّر هذه المسألة ويبيّننها ويُجلّيها لنا .

فإذا يرتقي بماذا ؟؟

يرتقي بالتعلم

لترتقي في العلم خير مرتقى

وتقتفي سبل الذي قد وُفقا

الذين سبقونا من العلماء تعلموا ، أما اليوم - فنسأل الله لنا
ولهم السلامة والعافية - .

بعض الناس والله لا يستحق أن يُسمّى طالب علم فضلاً أن
يُقدّم للناس أنه عالم ، وهذه والله مصيبة كما قال بعض
السلف : " إن هناك أناس يستحقون السجن أكثر من
الصوص وهم لصوص الدين الذين يسرقون طلاب العلم عن
العلماء الصادقين ثم يفتنونهم ويزرعون بينهم الشر والخلاف
." .

قال المصنف :

¹⁰ (الراوي : أبو هريرة ، المحدث : الألباني ، المصدر : السلسلة الصحيحة ، الجزء أو الصفحة : 342 .

وتقتفي سبل الذي قد وُفقا

أي بفعلك لطلب العلم تقتدي بالسلف الصالح - رضوان الله عليهم - الذين حازوا العلم الشرعي ، فحصل لهم التوفيق في علمهم وكان مقصدهم في طلب العلم وجه الله لا الدنيا ولا الرياسة ولا الفخر على الناس ، وتعجب للفظه يطلقها بعض السفهاء دالة على أنه لم يطلب العلم - لله عز وجل - فإذا حصل على شهادة كالدكتوراه مثلاً تجده يقول : " الآن تساوت الرؤوس يعني أنا دكتور وشمخي دكتور فأنا وشمخي دكاترة أنا وشمخي مثل بعض " يا أسفا .. يا أسفا !! على هؤلاء الذين لم يعرفوا قدر العلماء هذا شمخك ولو تحصّلت على شهادة لم يتحصّل عليها هو أصلاً لا تعني الشهادة أنك تعلق عليه ، وما أجمل ما قاله الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - في كلام له في هذا الباب أقرّوه عليكم لننظر كيف العلماء ينظرون إلى مسائل العلم يقول الإمام العثيمين - رحمه الله تعالى - : " فإن قال قائلٌ يُشكِل فيما نراه في حالنا وعصرنا وزماننا كلُّ يُطلق عليه شيخ حتى لو كان في ابتداء العلم " ، قال الشيخ : " والله أنا في نفسي من هذا شيءٌ وأنا أحب أن الألقاب - يعني شيخ ، عالم ، علامة - أن الألقاب هذه لا تكون إلا لأهلها حقيقةً "

أنا أقول : كثيراً ممن أُطلق عليهم شيخ والله لا يستحق أن يُسمى حتى طالب علم بل ..
!! المهم !!

قال الشيخ ابن العثيمين : " وأنا أحب أن الألقاب هذه لا تكون إلا لأهلها حقيقة حتى يتميز الناس " ؛ يعني يعرفون

العلماء والمشايخ ويميزون بين العالم و بين طالب العلم وبين
من لا يستحق أصلاً أن يكون شيخاً .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " أنا أحب أن تكون الألقاب
مطابقة للأحوال ، لا يُطَلَق على إنسان أنه إمام إلا إذا كان حقاً
إماماً ، ولا نطلق على إنسان شيخ إلا إذا كان شيخاً " .

على كل حال فإن هذا الأمر مشكلة بل أصبح الآن عندنا أن
كلمة الدكتور أعلى من كلمة شيخ وهذا الكلام قاله - رحمه
الله تعالى - في شرحه لمقدمة " المجموع " للنووي .

فهذا كلامٌ متين وأصلٌ مهم في هذه المسائل فلا تغفل عنها
يا عبد الله !

وكثير من إخواننا من ليبيا والمغرب والجزائر وتونس ومصر
واليمن وكثير من بلاد المسلمين والعراق بل حتى في المدينة
وفي مكة كثير من إخواننا ؛ يُطَلَقون على بعض الناس مشايخ
وعلماء وهم والله لا يستحقون أن يُسَمُّوا طلبه علم ، يحتاج
أن يتربوا وأن يتهدبوا في أخلاقهم وفي أفعالهم وفي سلوكهم ،
هؤلاء - يعني - تصديرهم على أنهم علماء هذا من المصائب ،
كما أشار إليه كلام الإمام ابن العثيمين - رحمه الله تعالى - .

قال - رحمه الله تعالى - في نظمه :

وهذه قواعدٌ نظمتها

من كتب أهل العلم قد حصَّلتها

قوله : **قواعد منظومة** ؛ يعني أنه نظمها في أبياتٍ شعرية وقد
سبق معنا أنها على الرَّجَز على وزن الرَّجَز من النظم الشعري .

وهذه المنظومة استفدتها من كتب أهل العلم وفي هذا
فائدتان :

الأول : اعترف بفضل من سبق .

الثانية : أنه لا يأتي بقواعد من عند نفسه بل يستفيدها من الأدلة الشرعية ومن مسلك السلف الصالح وكلام العلماء ؛ ولذلك الحدّث والشاب وطالب العلم إذا أخذ يُقعد قواعد من عند نفسه ، ولا يرجع للأدلة الشرعية ولم يستفد من مذهب السلف ولا كلام العلماء فإنه يأتي بالعجب العجاب ويأتي بقواعد باطلة إلا أن يشاء الله .

وكم من قواعد رُوّجت بين الشباب ؛ لترويج الباطل وتأتي هذه القاعدة فتتظر من وقعها من لا يستحق أن يرجع إليه أصلا فليس العيب على من وضع القواعد هذه فقط بل العيب علينا نحن أن نجعل أمثال هؤلاء مرجعا ونصفهم بالمشايخ أو العلماء " نعيب زماننا والعيب فينا " .

إذاً هذه من تواضع السعدي - رحمه الله تعالى - أن يبيّن أن هذه القواعد نظمها من كتب أهل العلم ، ما يأتي مثل بعض الناس يتكلم ويُشقق الكلام ، حتى يظن الظان أن هذا الكلام كلامه وهذا القول قوله ، فإذا رجعت إلى أي كتابٍ من شروح أهل العلم تجد أن الكلام كله موجود هناك ، وهذا إنما هو نقله وأظهر نفسه مظهر أنه هو الذي ابتدأه فلم ينسب العلم لأهله وتكبر ، ولذلك ابن مالك - رحمه الله تعالى - صاحب الألفية في النحو أثني على من سبقه في نظم النحو حيث قال - رحمه الله تعالى - في الألفية : وهو - أي ابن معطي ، ابن معطي عالم قبل بن مالك نظم ألفيته -

وهو بسبق حائز تفضيلا

مستوجب ثنائي الجميل

يعني ابن معطي ألف ألفية من قبلي ؛ فهو سبقني وله فضل
السبق ، وهذا يُوجب عليّ أن أثني عليه وأن أذكره وأشكره ،
هكذا العلماء وهكذا العلم يُهدّب صاحبه ، أما العلم الذي
يجعل صاحبه يطعن في إخوانه ويسعى لإسقاطهم ويسعى
لطرده طلاب العلم عنهم ويُنفّر عنهم ؛ فهذا علم صاحب
الشك والدّرن انتبهوا ! وميزوا ! وفرقوا ! لتعلموا الحق
والصواب من الباطل والخطل .

قال الناظم :

جزاهم المولى عظيم الأجر

والعفو مع غفرانه والبر

أي : جزى الله أهل العلم عظيم الأجر ؛ لما قاموا به من
خدمةٍ لكتابه - سبحانه وتعالى - وسنة نبيه - صلى الله عليه
وسلم - ودعا لهم بالعفو والغفران ، فقد دعا لأهل العلم
السابقين وفيه معرفة فضلهم وعدم تنقصهم ، وهذا بخلاف
من يستفيد من أهل العلم ثم يُظهر تنقصهم والقدح فيهم
حتى يرتفع هو المسكين ، ولذلك كنا نسمع مشايخنا دائما
يقولون : " إذا رأيت الإنسان يثني على نفسه ويتنقص
الآخرين فاعلم أنه هو الناقص وأنه يشعر بالجهل والضعف
فيحتاج إلى أن يُرفّع نفسه بهذه الأساليب الخسيصة دائما
هذه طريقته ودائما هذا ديدنه " .

والعلم يُهدّب الأخلاق ، والعلم يقود إلى الأخلاق الحميدة
ويتممها ، أما من يقول أدب أدب وهو لا يحسن الأدب ،
وأما من يرمي غيره بالسفه وهو أبوه وأمه فهذا من جهله
وسفهه - نسأل الله السلامة والعافية - .

- فبارك الله فيكم - احرصوا ولنحرص جميعا أيها الإخوة والأخوات على العلم النافع وعلى العمل الصالح في هذا الباب وأن ندرك أن العلم إذا لم يقُدنا إلى الخير والطاعة ورضا الرحمن والبعد عن معصية الرحمن والبعد عن الشك ، وإذا لم يقُدنا إلى حب العلماء الصادقين ، وإذا لم يقُدنا إلى مجانبة أهل الأهواء والفاسقين ؛ فإن هذا العلم قد يكون حجة علينا لا حجة لنا .

ثم قال الناظم :

والنية شرط لسائر العمل

بها الصلاح والفساد للعمل

هنا أقف في هذا اللقاء ؛ لكي تراجعوا ما سبق وتحفظوا المنظومة ، وأنا آمل من الإخوة والأخوات أن يحفظوها فإنها منظومة سهلة ومفيدة ، وأيضا الحفظ مع العلم والعمل أن تعمل بها أن تكون مع الصادقين أن تكون مريداً للحق بعيداً عن الباطل بعيداً عن الشر بعيداً عن الفتن ، أن تُهدَّب أخلاقك وتحفظ لسانك من أذى الناس .

أسأل الله - عز وجل - أن ينفعنا جميعا بما سمعنا وأن يكون حجة لنا لا حجة علينا وأسأله - سبحانه وتعالى - أن يرزقنا جميعا الإخلاص في القول والعمل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

